الباب الحادى والخمسون

فى آداب المريد مع الشيخ

أدب المريدين مع الشيوخ عند الصوفية من مهام الآداب، وللقوم فى ذلك اقتداء برسول الله ﷺ وأصحابه. وقد قال الله تعالى ﴿يأيُّها الَّذِينَ آمنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَى اللهِ ورسوله، واتقوا الله إن اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

روى عن عبد الله بن الزبير قال: قدم وفد على رسول الله ﷺ من بنى تميم، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس. فقال أبو بكر: ما أردت إلاّ خلافي. وقال عمر: ما أردت خلافك.. فتماريا حتى ارتفع صوتهما، فأنزل الله تعالى ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا..﴾ الآية.

قال ابن عباس – رضى الله عنه –: لا تقدموا: لا تتكلموا بين يدى كلامه..

وقال جابر: كان ناس يضحون قبل رسول الله، ﷺ، فنهوا عن تقديم الأضحية على رسول الله ﷺ.

وقيل: كان قوم يقولون: لو أنزل فى كذا.. وكذا.. فكره الله ذلك.

وقالت عائشة رضى الله عنها – : أى لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم.

وقال الكلبى: لا تسبقوا رسول الله ﷺ بقول: ولا فعل، حتى يكون هو الذى يأمركم به.

وهكذا أدب المريد مع الشيخ أن يكون مسلوب الاختيار.. لا يتصرف فى نفسه وماله إلا بمراجعة الشيخ وأمره..

وقد استوفينا هذا المعنى فى باب «المشيخة».

وقيل: لا تقدّموا: لا تمشوا بين يدى رسول لله ﷺ.

وروى أبو الدرداء قال: كنت أمشى أمام أبى بكر، فقال لى رسول الله ﷺ «تمشى أمام من هو خير منك فى الدنيا والآخرة»[2].

وقيل: نزلت فى أقوام كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ، فإذا سئل الرسول عليه السلام عن شىء خاضوا فيه، وتقدّموا بالقول والفتوى، فنُهوا عن ذلك.

---

(١) أول سورة الحجرات.

(٢) متفق عليه.

وهكذا أدب المريد فى مجلس الشيخ، ينبغى أن يلزم السكوت، ولا يقول شيئًا بحضرته من كلام حسن إلا إذا استأمر الشيخ، ووجد من الشيخ فسحة فى ذلك.

وشأن المريد فى حضرة الشيخ كمن هو قاعد على ساحل بحر ينتظر رزقًا يساق إليه:

فتطلعه إلى الاستماع وما يرزق من طريق كلام الشيخ يحقق مقام إرادته وطلبه واستزادته من فضل الله.. وتطلعه إلى القول يرده عن مقام الطلب والاستزادة إلى مقام إثبات شىء لنفسه. وذلك جناية المريد وينبغى ان يكون تطلعه إلى مبهم من حاله يستكشف عنه بالسؤال من الشيخ.

على أن الصادق لا يحتاج إلى السؤال باللسان فى حضرة الشيخ، بل يبادئه بما يريد؛ لأن الشيخ يكون مُستنطقًا نطقه بالحق، وهو عند حضور الصادقين يرفع قلبه إلى الله، ويستمطر، ويستسقى لهم؛ فيكون لسانه وقلبه فى القول والنطق مأخوذين إلى مهم الوقت من أحوال الطالبين المحتاجين إلى ما يفتح به عليه: لأن الشيخ يعلم تطلّع الطالب إلى قوله واعتداده بقوله.

والقول كالبذر يقع فى الأرض؛ فإذا كان البذر فاسدًا لا يُنبت، وفساد الكلمة بدخول الهوى فيها..

فالشيخ يُنقّى بذكر الكلام عن شوب الهوى، ويسلمه إلى الله، ويسأل الله المعونة والسداد، ثم يقول فيكون كلامه بالحق، من الحق، للحق.

فالشيخ للمريدين أمين الإلهام.. كما أن جبريل أمين الوحى، فكما لا يخون جبريل فى الوحى لا يخون الشيخ فى الإلهام.

وكما أن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى، فالشيخ مقتدٍ برسول الله ﷺ ظاهرًا وباطنًا، لا يتكلم بهوى النفس.

وهوى النفس فى القول بشيئين: **أحدهما**: طلب استجلاب القلوب وصرف الوجوه إليه، وما هذا من شأن الشيوخ.

والثانى: ظهور النفس باستحلاء الكلام والعُجب، وذلك خيانة عند المحققين.

والشيخ فيما يجرى على لسانه راقد النفس تشغله مطالعة نِعَم الحق فى ذلك، فاقد الحظ من فوائد ظهور النفس بالاستحلاء والعجب؛ فيكون الشيخ لما يجريه الحق سبحانه وتعالى عليه مستمعًا كأحد المستمعين.

وكان الشيخ أبو السعود - رحمه الله تعالى - يتكلم مع الأصحاب بما يُلقَى إليه، وكان يقول: أنا فى هذا الكلام مستمع كأحدكم. فأشكل ذلك على بعض الحاضرين، وقال: إذا كان القائل هو يعلم ما يقول، كيف يكون كمستمع لا يعلم حتى يسمع منه؟.. فرجع إلى منزله، فرأى ليلته فى المنام كأن قائلاً يقول له: أليس الغوّاص يغوص فى البحر لطلب الدرّ؟

ويجمع الصدف فى مخلاته، والدرّ قد حصل معه، ولكن لا يراه إلا إذا خرج من البحر، ويشاركه فى رؤية الدرّ من هو على الساحل؟. ففهم بالمنام إشارة الشيخ فى ذلك.

فأحسن أدب المريد مع الشيخ السكوت والخمود والجمود؛ حتى يبادئه الشيخ بماله فيه من الصلاح قولاً وفعلاً.

وقيل أيضا فى قوله تعالى: ﴿لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىِ اللهِ وَرَسُولِهِ﴾[1]: لا تطلبوا منزلةً وراء منزلته. وهذا من محاسن الآداب وأعزها.

وينبغى للمريد أن لا يحدّث نفسه بطلب منزلة فوق الشيخ، بل يحب للشيخ كلّ منزلة عالية، ويتمنى للشيخ عزيز المنح، وغرائب المواهب، وبهذا يظهر جوهر المريد فى حسن الإرادة، وهذا يعزّ فى المريدين؛ فإراداته للشيخ تعطيه فوق ما يتمنى لنفسه، ويكون قائمًا بأداب الإرادة:

قال السرىّ — رحمه الله — حسن الأدب ترجمان العقل.

وقال أبو عبد الله بن حنيف: قال لى رويم: يا بنىّ اجعل عملك ملحًا وأدبك دقيقًا.

وقيل: التصوّف كله أدب؛ لكل وقت أدب، ولكل حال أدب، ولكل مقام أدب؛ فمن يلزم الأدب يبلغ الرجال، ومن حرم الأدب فهو بعيد من حيث يظن القرب، ومردود من حيث يرجو القبول.

ومن تأديب الله تعالى أصحاب رسول الله ﷺ قوله تعالى ﴿لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِىِّ﴾[2] : كان ثابت بن قيس بن شماس فى أذنه وقر، وكان جهورى الصوت، فكان إذا كلّم إنسانًا جهر بصوته، وربما كان يكلم النبى ﷺ فيتأذى بصوته، فأنزل الله تعالى الآية تأديبًا له ولغيره.

---

(١) سورة الحجرات الآية ١.

(٢) سورة الحجرات الآية ٢.

أخبرنا ضياء الدين عبد الوهاب بن على، قال: أخبرنا أبو الفتح الهروى، قال: أخبرنا أبو نصر الترياقى، قال: أخبرنا أبو محمد الجراحىّ، قال: أخبرنا أبو العباس المحبوبى، قال: أخبرنا أبو عيسى الترمذى قال: حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا مؤمل بن إسماعيل، قال: حدثنا نافع بن عمر بن جميل الجمحى، قال: حدثنى حابس بن أبى مليكه، قال: حدثنى عبد الله بن الزبير: أن الأقرع بن حابس قدم على رسول الله ﷺ فقال أبو بكر: استعمله على قومه. فقال عمر: لا تستعمله يا رسول الله.

فتكلما عند النبى ﷺ حتى علت أصواتهما. فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافى. وقال عمر: ما أردت خلافك فأنزل الله تعالى الآية. فكان عمر بعد ذلك إذا تكلّم عند النبى ﷺ لا يسمع كلامه حتى يستفهم.

وقيل: لما نزلت الآية إلى أبى بكر أن لا يتكلم عند النبى ﷺ إلا كأخ السرار.

فهكذا ينبغى أن يكون المريد مع الشيخ؛ لا ينبسط برفع الصوت وكثرة الضحك وكثرة الكلام إلا إذا بسطه الشيخ.

فرفع الصوت تنحية جلباب القلبَ الوقار[1].

والوقار إذا سكن القلبَ عقل اللسان ما يقول: وقد ينازل باطن بعض المريدين من الحرمة والوقار من الشيخ ما لا يستطيع المريد أن يشبع النظر إلى الشيخ وقد كنت «أحمُّ»[2] فيدخل علىّ عمى وشيخى أبو النجيب السهروردى رحمه الله - فيترشح جسدى عَرقًا.

وكنت أتمنى العرق لتخفّ الحمى - فكنت أجد ذلك عند دخول الشيخ علىّ، ويكون فى قدومه بركة وشفاء.

وكنت ذات يوم فى البيت خاليًا، وهناك منديل وهبه لى الشيخ، وكان يتعمم به، فوقع قدمى على المنديل اتفاقًا، فتألم باطنى من ذلك، وهالنى الوطء بالقدم على منديل الشيخ، وانبعث من باطنى من الاحترام ما أرجو بركته.

قال ابن عطاء فى قوله تعالى ﴿لَاتَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ زجر عن الأدنى؛ لئلا يتخطى أحد إلى ما فوقه من ترك الحرمة.

وقال سهل فى ذلك: لا تخاطبوه إلا مستفهمين.

---

(١) وفى نسخة: تنحية جلباب الوقار، وتستقيم العبارة إذا كانت (.. فرفع الصوت تنحية القلب جلباب الوقار).

(٢) أى: أمرض بالحمى.

وقال أبو بكر بن طاهر: لا تبدءوه بالخطاب، ولا تجيبوه إلا على حدود الحرمة، ﴿وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾[1]. أى: لا تغلظوا له فى الخطاب، ولا تنادوه باسمه: يا محمد، يا أحمد كما ينادى بعضكم بعضًا، ولكن فخموه، واحترموه وقولوا له: يا نبى الله.. يا رسول الله.

ومن هذا القبيل يكون خطاب المريد مع الشيخ، وإذا سكن الوقار القلبَ علم اللسانُ كيفيةَ الخطاب.

ولّما كَلِفت النفوس بمحبة الأولاد والأزواج وتمكنت أهوية النفوس والطباع استخرجت من اللسان عبارات غريبة وهى تحت وقتها صاغها كَلَف النفس وهواها، فإذا امتلأ القلب حرمة ووقارًا تعلّم اللسان العبارة.

وروى: لّما نزلت هذه الآية قعد ثابت بن قيس فى الطريق يبكى، فمرّ به عاصم بن عدىّ، فقال: ما يبكيك يا ثابت؟ قال: هذه الآية أتخوّف أن تكون قد نزلت فىّ: ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تشعرون﴾[2].

وأنا رفيع الصوت على النبى ﷺ أخاف أن يحبط عملى وأكون من أهل النار.. فمضى عاصم إلى رسول الله ﷺ وغلب ثابتًا البكاء، فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبى سلول، فقال لها: إذا دخلت بيت فرسى فسدّى علىّ الضبّة بمسمار، فضربته بمسمار، حتى إذا خرجت عطفته[3]، وقال:

لا اخرج حتى يتوفانى الله أو يرضى عنى رسول الله ﷺ.

فلما أتى عاصم النبىَ، وأخبره بخبره قال: «اذهب فادعه».

فجاء عاصم إلى المكان الذى فيه رآه.. فلم يجده. فجاء إلى أهله فوجده فى بيت الفرس فقال له:

إن رسول الله ﷺ يدعوك، فقال: اكسر الضبّة.. فأتيا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «ما يبكيك يا ثابت؟». فقال: أنا صيّت[4] وأخاف أن تكون هذه الآية نزلت فىّ فقال له رسول الله ﷺ: «أمَا ترضى أن تعيش سعيدًا، وتقتل شهيدًا، وتدخل الجنّة؟».

---

(١) سورة الحجرات الآية ٢.

(٢) سورة الحجرات الآية ٢.

(٣) عطفته: أى أمالت المسمار زيادة فى الإحكام والغلق.

(٤) قوى الصوت رفيعه.

فقال: قد رضيت ببشرى الله تعالى ورسوله، ولا أرفع صوتى أبدًا على رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ..﴾[1].

قال أنس: كنا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يمشى بين أيدينا.. فلما كان يوم اليمامة، فى حرب مسيلمة، رأى ثابت من المسلمين بعض الانكسار.. وانهزمت طائفة منهم، فقال: أفٍ لهؤلاء وما يصنعون!!

ثم قال ثابت لسالم بن حذيفة: ما كنا نقاتل أعداء الله مع رسول الله ﷺ مثل هذا!!

ثم ثبتا.. ولم يزالا يقاتلان حتى قتلا، واستشهد ثابت كما وعده رسول الله ﷺ وعليه درع، فرآه رجل من الصحابة بعد موته فى المنام فقال له: اعلم أن فلانا.. رجل من المسلمين—نزع درعى فذهب بها وهو فى ناحية من العسكر وعنده فرس يستنّ فى طيله، وقد وضع لى درعى برمة، فأت خالد بن الوليد فأخبره حتى يسترد درعى، وأت أبا بكر— خليفة رسول الله ﷺ فقل له: إنّ علىّ دَيْنًا حتى يقضى عنى. وفلان—من عبيدى— عتيق.

فأخبر الرجل خالدًا فوجد الدرع والفرس على ما وصفه، فاستردّ الدرع.

وأخبر خالد أبا بكر بتلك الرؤيا، فأجاز أبو بكر وصيته.

قال مالك بن أنس: لا أعلم وصية أجيزت بعد موت صاحبها إلا هذه، كرامة ظهرت لثابت، بحسن تقواه وأدبه مع رسول الله ﷺ.

فليعتبر المريد الصادق ويعلم أن الشيخ عنده تذكرة من الله ورسوله، وأن الذى يعتمده مع الشيخ عوض ما لو كان فى زمن رسول الله ﷺ واعتمده مع رسول الله ﷺ.

فلما قام القوم بواجب الأدب أخبر الحق عن حالهم وأثنى عليهم، فقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾[2] أى: اختبر قلوبهم، وأخلصها، كما يمتحن الذهب بالنار فيخرجُ خالصُه، وكما أن اللسان ترجمان القلب، وتهذّب اللفظ لتأدّب القلب، فهكذا ينبغى أن يكون المريد مع الشيخ.

---

(١) آية رقم ٣ من سورة الحجرات.

(٢) من آية رقم ٣ من سورة الحجرات.

قال أبو عثمان: الأدب عند الأكابر وفى مجالسة السادات من الأولياء يبلغ بصاحبه إلى الدرجات العلا، والخير فى الأول والعقبى. ألا ترى إلى قول الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾[1].

ومما علّمهم الله تعالى قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾[2].

وكان هذا الحال من وفد بنى تميم، جاءوا إلى رسول الله ﷺ، فنادوا: يا محمد، اخرج إلينا؛ فإن مدحنا زين، وذمّنا شين. قال: نسمع رسول الله ﷺ.. فخرج إليهم وهو يقول «إنما ذلكم الله الذى ذمّه شين ومدحه زين». فى قصة طويلة.. وكانوا أتوا بشاعرهم وخطيبهم فغلبهم حسان بن ثابت وشبان المهاجرين والأنصار بالخطبة.

وفى هذا تأدّب للمريد فى الدخول على الشيخ والإقدام عليه، وتركه الاستعجال، وصبره إلى أن يخرج الشيخ من موضع خلوته.

سمعت أن الشيخ عبد القادر — رحمه الله — كان إذا جاء إليه فقير زائر، يخبر بالفقير، فيخرج.. ويفتح جانب الباب ويصافح الفقير، ويسلم عليه، ولا يجلس معه، ويرجع إلى خلوته.

وإذا جاء أحد ممن ليس من زمرة الفقراء يخرج ويجلس معه..

فخطر لبعض الفقراء نوع إنكار، لتركه الخروج إلى الفقير، وخروجه لغير الفقير، فانتهى ما خطر للفقير إلى الشيخ، فقال: الفقير رابطتنا معه رابطة قلبية، وهو أهل، وليس عنده أجنبية، فنكتفى معه بموافقة القلوب ونقنع بها، عن ملاقاة الظاهر — بهذا القدر، وأما من هو من غير جنس الفقراء، فهو واقف مع العادات والظاهر، فمتى لم يوف حقه من الظاهر استوحش، فحق المريد عمارة الظاهر والباطن بالأدب مع الشيخ.

قيل لأبى منصور المغربى: كم صحبت أبا عثمان؟ قال: خدمته، لا صحبته؛ فالصحبة مع الإخوان والأقران، ومع المشايخ الخدمة.

وينبغى للمريد أنه كلما أشكل عليه شىء من حال الشيخ يذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام: كيف كان ا لخضر يفعل أشياء ينكرها موسى، وإذا أخبره الخضر بسرّها يرجع موسى عن إنكاره.

---

(١) آية رقم ٥ من سورة الحجرات.

(٢) آية رقم ٤ من سورة الحجرات.

فما ينكره المريد؛ لقلّة علمه بحقيقة ما يوحد من الشيخ، فللشيخ فى كل شىء عذر بلسان العلم والحكمة.

سأل بعض أصحاب الجنيد مسألة عن الجنيد، فأجابه الجنيد.. فعارضه فى ذلك!! فقال الجنيد: فإن لم تؤمنوا لى فاعتزلون. فقال بعض المشايخ من لم يعظم حرمة من تأدّب به حرم بركة ذلك الأدب.

وقيل: من قال لأستاذه: لا، لا يفلح أبدًا.

أخبرنا شيخنا ضياء الدين عبد الوهاب بن علي، قال: أخبرنا أبو الفتح الهروى، قال: أخبرنا أبو نصر الترياقي قال: أخبرنا أبو محمد الجراحى قال: أخبرنا أبو العباس المحبوبى، قال: أخبرنا أبو عيسى الترمذى، قال: حدثنا هناد، عن أبى معاوية، عن الأعمش، عن أبى صالح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «اتركونى ما تركتكم، وإذا حدثتكم فخذوا عني، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم».

قال الجنيد — رحمه الله: رأيت مع أبى حفص النيسابورى إنسانًا كثير الصمت، لا يتكلم. فقلت لأصحابه: مَن هذا؟

فقيل لى: هذا إنسان يصحب أبا حفص ويخدمنا، وقد أنفق عليه مائة ألف درهم كانت له، واستدان مائة ألف أخرى أنفقها عليه، ما يسوّغ له أبو حفص أن يتكلّم بكلمة واحدة.

وقال أبو يزيد البسطامي: صحبت أبا عليّ السندى، فكنت ألقنّه ما يقيم به فرضه، وكان يعلمنى التوحيد، والحقائق صِرفًا.

وقال أبو عثمان: صبحت أبا حفص وأنا غلام حدث، فطردنى وقال: لا تجلس عندى. فلم أجعل مكافأتى له على كلامه أن أولّى ظهرى إليه، فانصرفت أمشى إلى خلف ووجهى مقابل له حتى غبت عنه، واعتقدت أن أحفر لنفسى بئرًا على بابه، وأنزل، وأقعد فيه ولا أخرج منه إلا بإذنه.. فلما رأى ذلك منىّ قرّبنى، وقبلنى، وصيرّنى من خواص أصحابه إلى أن مات — رحمه الله —

ومن آدابهم الظاهرة: أن المريد لا يبسط سجادته مع وجود الشيخ إلاّ لوقت الصلاة؛ فإن المريد من شأنه التبتل للخدمة، وفي السجادة إيماءٌ إلى الاستراحة والتعزز.

ولا يتحرك فى السماع مع وجود الشيخ إلا أن يخرج عن حدّ التمييز، وهيبة الشيخ تملك المريد عن الاسترسال فى السماع وتقيّده.

واستغراقه فى الشيخ بالنظر إليه، ومطالعة موارد فضل الحق عليه أنجع له من الإصغاء إلى السماع ومن الأدب، أن لا يكتم على الشيخ شيئًا من حاله، ومواهب الحقّ عنده، وما يظهر له من كرامة وإجابةٍ. ويكشف للشيخ من حاله ما يعلم الله تعالى منه، وما يستحى من كشفه يذكره إيماءً وتعريضًا؛ فإن المريد منى انطوى ضميره على شىء لا يكشفه للشيخ تصريحًا أو تعريضًا يصير على باطنه منه عقدة فى الطريق، وبالقول مع الشيخ تنحلّ العقدة.

ومن الأدب: أن لا يدخل فى صحبة الشيخ إلا بعد علمه بأن قَيِّمٌ بتأديبه وتهذيبه، وأنه أقوم بالتأديب من غيره.

ومتى كان عند المريد تطلّع إلى لشيخ آخر لا تصفو صحبته ولا ينفذ القول فيه، ولا يستعد باطنه لسراية حال الشيخ فيه؛ فإن المريد كلما أيقن تفرّد الشيخ بالمشيخة عرف فضله وقويت محبته، والمحبَّة والتألف مع الواسطة بين المريد والشيخ.

وعلى قدر قوة المحبة تكون سراية الحال؛ لأن المحبة علامة التعارف، والتعارف علامة الجنسية، والجنسية جالبة للمريد حال الشيخ أو بعض حاله.

أخبرنا الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن سليمان، قال أخبرنا أبو الفضل حميد، قال: أخبرنا الحافظ أبو نعيم، قال: حدثنا سليمان بن أحمد قال حدثنا أنس، قال: حدثنا عتبة بن رزين، عن أبى أمامة الباهلى، عن رسول الله ﷺ قال «مَن علَّم عبدًا آية من كتاب الله فهو مولاه، ينبغى له أن لا يخذ له، ولا يستأثر عليه، فمن فعل ذلك فقد فَصَم عروةً من عرى الإسلام»[1].

ومن الأدب: أن يراعى خطرات الشيخ فى جزئيات الأمور كلياتها، ولا يستحقر كراهة الشيخ ليُسيِّر حركاته معتمدًا على حسن خلق الشيخ وكمال حلمه ومداراته.

قال إبراهيم بن شيبان: كنا نصحب أبا عبد الله المغربى ونحن شبان يُسافر بنا فى البرارى والفلوات، وكان معه شيخ اسمه «حسن» وقد صحبه سبعين سنة، فكان إذا جرى من أحدنا خطأٌ وتغيَّر الشيخ تتشفَّع إليه بهذا الشيخ حتى يرجع لنا إلى ما كان.

---

(١) رواه ابن حبان والدارقطنى.

ومن أدب المريد مع الشيخ: أن لا يستقل بوقائعه وكشفه دون مراجعة الشيخ؛ فإن الشيخ علمه أوسع وبابه المفتوح إلى الله أكبر.

فإن كان واقعة المريد من الله تعالى يوافقه الشيخ ويمضيها له، وما كان من عند الله لا يختلف.

وإن كان فيه شبهة تزول الواقعة بطريق الشيخ، ويكتسب المريد علمًا بصحة الوقائع والكشوف.

فالمريد لعله في واقعته يخامره كمون إرادة في النفس، فيتشبك كمون الإرادة بالواقعة منامًا كان ذلك أو يقظةً، ولهذا سرّ عجيب، ولا يقوم المريد باستئصال شأفة الكامن في النفس، وإذا ذكره للشيخ فما في المريد من كمون إرادة النفس منقود في حق الشيخ، فإن كان من الحق يتبرهن بطريق الشيخ.

وإن كان ينزع واقعته إلى كمون هوى النفس تزول وتبرأ ساحة المريد، ويتحمل الشيخ ثقل ذلك لقوة حاله، وصحة إيوائه إلى جناب الحق وكمال معرفته.

ومن الأدب مع الشيخ: أن المريد إذا كان له كلام مع الشيخ في شيء من أمر دينه أو أمر دنياه لا يستعجل بالإقدام على مكالمة الشيخ والهجوم عليه، حتى يتبين له من حال الشيخ أنه مستعد له ولسماع كلامه وقوله متفرِّغ، فكما أنّ للدعاء أوقاتًا وآدابًا وشروطًا - لأنه مخاطبة لله تعالى - فللقول مع الشيخ أيضًا آداب وشروط؛ لأنه من معاملة الله تعالى -

ويسألُ الله تعالى قبل الكلام مع الشيخ التوفيق، لما يحبُّ من الأدب، وقد نبّه الحق سبحانه وتعالى على ذلك فيما أمر به أصحاب رسول الله ﷺ في مخاطبته فقال ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾[1] يعني: أمام مناجاتكم.

قال عبد الله بن عباس: سأل الناسُ رسول الله ﷺ، فأكثروا، حتى شقّوا عليه وأحفوْه بالمسألة؛ فأدبّهم الله تعالى، وفطمهم عن ذلك، وأمرهم أن لا يناجوه حتى يقدّموا صدقة.

وقيل: كان الأغنياء يأتون النبي ﷺ ويغلبون الفقراء على المجالس، حتى كره النبيّ عليه الصلاة والسلام طول حديثهم ومناجاتهم؛ فأمر الله تعالى بالصدقة عند المناجاة، فلما رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته.

---

(١) آية رقم ١٢ من سورة المجادلة.

فأما أهل العُسرة فلأنهم لم يجدوا شيئًا، وأما أهل اليسرة فبخلوا وصفوا، فاشتدَّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، ونزلت الرخصة: وقال تعالى ﴿أأشْفَقْتُم أنْ تُقَدمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ﴾[1].

وقيل: لما أمر الله بالصدقة لم يناج رسول الله ﷺ إلا على بن أبى طالب، فقدّم دينارًا.. فتصدّق به.

وقال على: فى كتاب الله آيةٌ ما عمل بها أحد قبلى، ولا يعمل بها أحد بعدى.

وروى أن رسول الله ﷺ لمّا نزلت الآية دعا عليا وقال: «ما ترى فى الصدقة، كم تكون؟ دينارًا؟».

قال على: لا يطيقونه. قال: كم؟. قال على: تكون حبّة أو شعيرة، فقال رسول الله ﷺ: «إنك لزهيد».

ثم نزلت الرخصة ونسخت الآية.

وما نبّه الحق عليه بالأمر بالصدقة، وما فيه من حسن الأدب، وتقييد اللفظ والاحترام ما نسخ، والفائدة باقية.

أخبرنا الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن سليمان، قال: أخبرنا أبو الفضل أحمد، قال: أخبرنا الحافظ أبو نعيم، قال: حدثنا سليمان بن أحمد قال: حدثنا مطلب بن شعيب، قال: حدثنا عبد الله بن صالح، قال: حدثنا ابن لُهيعة عن أبى قبيل، عن عبادة بن الصامت قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس منا من لم يُجلّ كبيرنا ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقّه»[2].

فاحترام العلماء توفيق وهداية، وإهمال ذلك خذلان وعقوق.

---

(١) آية رقم ١٣ من سورة المجادلة.

(٢) متفق عليه.